التنوع الحضاري واثره علي الصياغات الجمالية للفسيفساء الخزفية في الفن الاسلامي

ا.د عبير عبد الله شعبان جوهر

استاذ الخزف ورئيس قسم التربية الفنية –كلية التربية النوعية – جامعة المنوفية

مقدمة :

يلعب الفن دورا هام في صياغة عقلية الفرد والمجتمع وهو ما يمكن ان نطلق عليه مقولة – الفن يهذب ثقافات المجتمع – وهو الذي يصوغ عالمه وواقعه الحقيقي والفن اساس تشكيل الافكار ودليل علي النشاط الفكري للفرد والمجتمع .

وقد استمدت كل الفنون من بعضها البعض في حلقات متواصلة تعبر عن فكر الشعوب وتنوع البيئات والثقافات ، وتواصل الفن الاسلامي مع ما سبقه من فنون الحضارات القديمة والمعاصرة له في تناغم تحققت معه الهوية الثقافية الداله علي كل مجتمع في اطار عام اتسم بصبغة الروح الاسلامية مما يمكنا من تميزه الان من بين الالاف من الاعمال الفنية ، ومن تلك الاعمال الفسيفساء والتي ظهرت في العديد من الحضارات السابقة للحضارة الاسلامية لتكسية الجدران والارضيات في المعابد والابنية برسوم تعبر عن معتقدات تلك المجتمعات ، ولكنها حين تلاقت مع روح الفن الاسلامي ورؤية الفنان المسلم لتحليل المساحات لقطع صغيرة تترابط وتتنامي في كل معبر عن معني الذكر والتسبيح الدائم المتصل .

Cultural diversity and its impact on formulations aesthetic ceramic mosaic in Islamic Art

Prof. Dr. Abeer Abdallah Shapaan Gohar

Porcelain , prof. and head of the Department of Art Education

Specific Education College – Monofia

Art plays an important role in shaping the mindset of the individual and the community , which could be called the argument - art styling cultures of the community - who formulates his world and real reality and art based on the formation of ideas and evidence of intellectual activity wrap All the arts were derived from each other in a continuous rings reflect the thought of the people and the diversity of environments , cultures and Islamic Art continues with its predecessors, arts ancient and contemporary civilizations has been made in tune with the cultural identity Function on each community as part of the year was characterized by overtones of the Islamic Spirit , which enables us to distinguish now among thousands of works of art one of those business mosaics, which appeared in many previous civilizations Islamic civilization cladding walls and floors in the temples and buildings charges reflect the

beliefs of those societies ,But when joined with the spirit of Islamic Art and conduction Islamic vision of Muslim artist for the analysis of small spaces to cut interconnect is growing in every crossing, about the meaning of permanent Prayer and praise the caller.

DOI:10.12816/0038038

خصائص الفن الإسلامي:

- يقوم هذا الفن على أساس من عقيدة التوحيد، وعلى تصور شامل للإنسان والكون والحياة، ولذا فلا مجال فيه للباطل من الوثنيات والخرافات والأوهام والأساطير .
- ميدان الفن الإسلامي هو مجال "التحسينات" وهو يأتي بعد "الضروريات" وبعد "الحاجيات" . وهذا التحديد لمكانة الفن ضروري ومهم حتى توضع الأمور في نصابها، وحتى لا يحصل خلل في التصور .
- إن وظيفة الفن هي صنع "الجمال" وحين يبتعد الفن عن أداء هذه الوظيفة، فإنه حينئذ لا يسمى "فناً" – ذلك أنه تخلى عن عمله الأصيل – وقد نسميه "مهارة" أو "دقة"...

يقول الأستاذ محمد قطب:

الفنان الإسلامي موكل "بالجمال".. يتتبعه في كل شيء، وكل معنى في هذا الوجود.
الجمال بمعناه الواسع الذي لا يقف عند حدود الحس، ولا ينحصر في قالب محدود.
جمال الكون بنجومه وشموسه وأقماره وما بينها من تجاذب وارتباط.
وجمال الطبيعة بما فيها من جبال وأنهار وأضواء وظلال وجوامد وأحياء.
وجمال المشاعر بما فيها من حب وخير وطلاقة وارتفاع.
وجمال القيم والأوضاع والنظم والأفكار والمبادئ والتنظيمات.
كل ذلك ألوان من الجمال يحتفي بها الفن الإسلامي، ويجعلها مادة أصيلة للتعبير.
بل هو يعرض الحياة كلها من خلال المعايير الجمالية، سواء بالسلب أو الإيجاب .

- والفن في التصور الإسلامي "وسيلة" لا غاية، والوسيلة تشرف بشرف الغاية التي تؤدي إليها، ولذا فليس الفن للفن، وإنما الفن في خدمة الحق والفضيلة والعدالة.. وفي سبيل الخير والجمال.
- وللفن في التصور الإسلامي "غاية وهدف" إذ كل أمر يخلو من ذلك فهو عبث وباطل، والفن الإسلامي فوق العبث والباطل، فحياة الإنسان ووقته أثمن من أن يكون للعبث الذي لا طائل تحته.
- إن الغاية التي يهدف الفن الإسلامي إلى تحقيقها، هي إيصال الجمال إلى حسِّ المشاهد (المتلقي) وهي ارتقاء به نحو الأسمى والأعلى والأحسن.. أي نحو الأجمل، فهي اتجاه نحو السمو في المشاعر والتطبيق والإنتاج، ورفض للهبوط.
- وكما أن للفن هدفاً يسعى إليه، فإن له أيضاً "باعثاً" يدفع إليه، هذا الباعث يغذيه جذران. جذر يمتد في أعماق النفس، إذ من فطرة النفس البشرية السعي إلى الجمال..، وجذر آخر يغذيه المنهج الإسلامي الذي يهدف إلى الجمال.. وهكذا يلتقي ما تصبو إليه النفس

مع ما يطلبه المنهج.. فإذا الإنسان مدفوع إلى تحقيق الجمال بفنه بباعث من رغبة النفس وباعث من أمر الشرع بإتقان العمل وإحسانه.

- وللفن شخصيته المستقلة، فليس هو فرعاً من الفلسفة، أو فرعاً من فروع العلم – وإن كان العلم هو بعض ما يحتاجه الفنان – ولذا فليس من مهمات الفن البحث عن "الحقيقة" أو الكشف عنها. وحينما يطلب إليه ذلك فقد حمل ما لا طاقه له به، قد يحدث أن يكون الفن في بعض الأحيان طريقاً لاكتشاف حقيقة ما، ولكن هذا ليس مهمة دائمة يكلف بها؟!

إن الذين جعلوا اكتشاف الحقيقة من أغراض الفن، دفعهم إلى ذلك تصورهم الخاطئ عن تحديد مكانة الفن ومهمته.

- والفن الإسلامي ينبع من داخل النفس، فتجيش به العواطف والأحاسيس، فإذا به ملء السمع والبصر، وهو بهذا تعبير عن التزام وليس صدى لإلزام قهري أو أدبي.
- أن الإسلام أوصل الجمال إلى مجالات لم تعرفه من قبل، ونؤكد هنا أن ساحة الجمال نفسها هي ساحة الفن، وهي ساحة لا تضيقها الحدود، ولا تحصرها الحواجز، ذلك أنها ساحة منهج التصور الإسلامي.
- والفن الإسلامي – بعد ذلك – لقاء كامل بين إبداع الموهبة ونتاج العبقرية وبين دقة الصنعة ومهارة التنفيذ وحسن الإخراج. إنه اجتماع بين الذكاء المتقد وبين الخبرة والإتقان، وبهذا يصل الفن إلى ذروة الجمال.. إن أحد العنصرين – الموهبة والخبرة – قد يصل بنا إلى إنتاج فني، ولكنهما معاً يصلان بنا إلى جمال فني.

ومن أهم الإنجازات الحضارية التي حققتها العمارة الإسلامية هي تأكيد توظيف مواد البناء المحلية في البلدان الإسلامية كالبلاط القاشاني والفسيفساء والأخشاب وغيرها، واستخدامها بطريقة فنية رائعة في تشييد المباني وزخرفتها حتى تلائم الظروف البيئية والمناخية وتنسجم مع الحياة الحضارية والاجتماعية لكل بلد.

الفسيفساء Mosaic:

مصطلح أصله اللاتيني بسيفوسيسpsêphosis هي أحد أقدم الفنون التصويرية ويتم تشكيل اللوحة الفسيفسائية عادة من انتظام عدد كبير من القطع الصغيرة وعادة ماتكون ملونة التي تكون بمجملها صورة تمثل مناظر طبيعية أو أشكال هندسية أو لوحات بشرية أو حيوانية. وقد استخدام الفسيفساء قديم ويرجع لأيام السومريين ثم الرومان وشهد العصر البيزنطي تطورا كبيرا في صناعة الفسيفساء لأنهم ادخلوا في صناعته الزجاج والمعادن واستخدموا الفسيفساء بشكل كبير في القرن الثالث والرابع الميلادي باللون الأبيض والأسود فبرعوا بتصوير حياة البحر والأسماك والحيوانات,

وصنعوا اشكالا هندسية تتألف من فصوص مربعة صغيرة، تشكلت في ألواح كبيرة تزين جدران الأماكن العامة وأراضيها، من معابد وكنائس وقصور. وتمثل هذه الألواح مشاهد دينية وأسطورية. ظهرت الفسيفساء مرادفة للصور الجدارية التي لم تكن قد انتشرت كثيراً، وكان ظهورها عملاً تزيينياً يجمّل الجدران، ويكسو الأرض الواسعة. وكانت النوافذ الزجاجية مؤلفة من قطع صغيرة من الزجاج تنضد مع بعضها لتشكيل صورة ما.

كما تعرف الفسيفساء بفن وحرفة صناعة المكعبات الصغيرة واستعمالها في زخرفة وتزيين الفراغات الأرضية والجدارية عن طريق تثبيتها فوق الأسطح الناعمة وتشكيل التصاميم المتنوعة ذات الألوان المختلفة، ويمكن استخدام مواد متنوعة مثل الحجارة والمعادن والخزف والزجاج والأصداف وغيرها. وفي العادة يتم توزيع الحبيبات الملونة المصنوعة من تلك المواد بشكل فني ليعبر عن قيم دينية وحضارية وفنية بأسلوب فني مؤثر.

الفسيفساء الخزفية Ceramic Mosaic :

هي أحد تقنيات الفسيفساء ويستخدم في تنفيذها بلاطات فخارية أو خزفية عبارة عن مساحات محددة هندسية من ا إلي 2سم تقريباً أو قد تتشكل من تكسير غير محدد الشكل .

تاريخ الفسيفساء :

يعتبر فن الخزف المصنوع باستخدام الفسيفساء من أقدم الفنون التى عرفتها البشرية ويزخر العالم بالعديد من النماذج التى أبدعها الفنانون عبر العصور ، وقد كان للفنان العربى والمسلم تأثير قوى على تطور فن الفسيسفاء . وقد عاد فن الفسيفساء اليوم للازدهار، حيث توجد مدارس كثيرة تعلم أساليبه وتقنياته، وتأخذ فيه الرسوم ذات المواضيع الحديثة حيزًا كبيرًا. وباتت لوحات الفسيفساء الحديثة تستخدم في تزيين جدران وأرضيات البيوت والمباني العامة .

أن أقدم ظهور لهذا الفن كان منذ العصر الحجري المتوسط (10000_7500ق.م) منذ أن بدأ الإنسان فن الترصيع لتكون بمثابة البدايات الأولى لنشأة هذا الفن، ليستخدم فيما بعد كزينة بناء من خلال إلصاق الأحجار الصغيرة في الطين حيث رصت بأحكام بجانب بعضها بغرض التقوية والتزيين .وقد عثر على فسيفساء آشورية شمال العراق تؤرخ للقرن التاسع قبل الميلاد. كما ظهر في حضارة وادي النيل ما يشبه الفسيفساء في بعض غرف هرم سقارة، وقد ظهرت الفسيفساء مستخدمة المكعبات الفخارية منذ القرن الثالث قبل الميلاد إبان العهد الهلنستي متأثرة بتلك التي استخدمت في الألف الرابع قبل الميلاد في مدينة آنين جنوب العراق، وقد ظهرت الفسيفساء منذ عهد مبكر في بلاد العراق منذ 3000 سنة قبل الميلاد حيث كانت الفسيفساء تصنع من أقلام أو

مسامير من الآجر، وكانت هذه الأقلام أو المسامير ذات رؤوس دائرية ملونة تغرس في جدران الطوب مؤلفة أشكالا زخرفيه وفنية كما في شكل (1) لجدار من الفن السومري في وادي الرافدين .

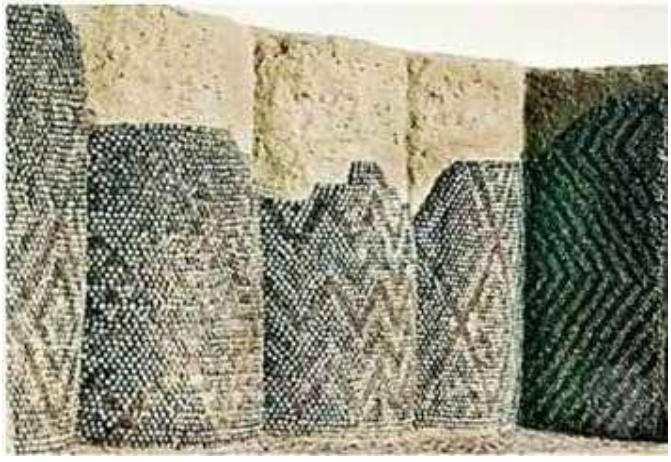

شكل (1)

وقد قام الفرس على اقتباس هذا الفن ودليل ذلك ما وجد في قصر دارا الفارسي، كما استخدمت البلاطات المزججة في بابل، وقد وصلت هذه الصناعة الفنية إلى درجة عالية من الجودة والإتقان كما يظهر في بوابة عشتار (فسيفساء الطوب وبدايات فن الفسيفساء من عصر نبوخذ نصر الثاني شكل (2) .

شكل (2)

وكان للعراقيين السبق باعتبارهم الأوائل الذين استخدموا الطوب المزجج في تزيين الجدران بأشكال هندسية متعددة، هذا بالإضافة إلى الفضل في تقليل أحجام المواد المستخدمة إلى اقل قدر ممكن يرافقها مهارة وحرفية عالية في آلية التركيب. هذا وقد عثر على أرضيات مخروطية طينية في الألف الرابع قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين وقد ظهرت بألوان متعددة مغروسة بالطين على حوائط الأبنية والأعمدة قبل أن تجف.

أما أقدم فسيفساء وجدت في اليونان فقد كانت في مدينة أولينثوس وذلك في القرنين الخامس والرابع ق.م كما وجدت أمثلة في أوليمبيا وسوريا ومقدونيا، بعد ذلك ظهرت الفسيفساء الرومانية التي انتشرت في جميع أرجاء الإمبراطورية الرومانية الغربية وإلى سوريا وحوض البحر

الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا وفرنسا وذلك ما بين القرنين الأول والثالث الميلادي واتسع نطاق هذا الفن وشاع بصورة كبيرة إبان العصر الروماني خاصة في الفترة الواقعة ما بين القرن الأول الميلادي وحتى القرن الثالث هي فترة الذروة والازدهار لهذه الإمبراطورية لنجد إن هذا الفن التصويري قد غطى منازل مواطنيها الذين ينعمون بحياة فارهة من أبناء الطبقة المخملية الارستقراطية، إذ لم يكد يخلو بيت في روما إلا وقد اكتست قاعته الداخلية بلوحات فسيفسائية تصور لنا عوالم البحار تارة وما يرتبط بها من سفن تعلوها واسماك تعيش بباطنها، إضافة إلى تصوير أنواع أخرى من الحيوانات ورسوم الفاكهة والطعام شكل (3) .ولوحظ بأن الرومانيين اشاعوا استخدام اللونين الأبيض والأسود وقد ظهر الميل لعمل أشكال هندسية في أواخر القرن الثالث الميلادي وذلك نظرا للتأثير الذي أحدثته دخول المسيحية الأولى. شكل (3)

دخل هذا الفن بمرحلة جديدة أطلق عليها العصر الذهبي إبان العصر البيزنطي، والتي ظهرت بكثرة على جدران الكنائس وأرضياتها وقبابها شكل (4). وقد استخدمت فنون الزخرفة الفسيفسائية إبان هذا العصر المستمدة من مصدرين أولهما المدن الهلنستية مثل الإسكندرية والأخرى كانت من الحضارة الساسانية من خلال استمرارها بالموضوعات الوثنية المستمدة من الأساطير التي قلدت الاسكندر في أشجار الكروم وأوراق الاكانتس وتجلى الفن السكندري ممثلا بأشكال الوجوه والمناظر الطبيعية. كما شهد هذا الفن تطور تقني من حيث استعمال الألوان واستغلال درجاتها وتدرجات الألوان في الزجاج وقد استعمل الزجاج لتغطية الجدران والقباب بينما استعملت مكعبات من الحجارة والرخام لتغطية الأرضيات لأنها تتحمل أكثر ولا تتلف بسهولة، كما يحسب للبيزنطيين إلى جانب الزجاج إدخالهم للمعادن في صناعة اللوحات الفسيفسائية. شكل (4)

الفسيفساء في العصر الإسلامي :

الفسيفساء الإسلامية فقد كانت امتدادا للفسيفساء البيزنطية في حين احتفظوا بفضل تطوير صناعة هذا الفن من حيث استخدامهم للألوان المائية في التلوين مع ابتكار أشكالا هندسية غير معهودة في تزيين القصور والمعابد لتمتد هذه التقنية لما بعد الإسلام إذ استعملت في زخرفة جدران المساجد والعمائر والقصور إثناء الحكم الأموي والعباسي والفاطمي في مصر والأندلس. وقد تطور هذا الفن وقفز قفزة نوعية وذلك من حيث استخدام تربيعات البلاط القيشاني لإبراز الإشكال الزخرفية وإعطائها بعدا اكثر من اللون والبريق. وكان الأندلسيون أول من أسس مصنع أو معمل لتصنيع وتصدير القيشاني إلى كثير من بلدان العالم في أوائل القرن العاشر الميلادي ليكون بمثابة المؤشر القوي على مدى التقدم الذي وصل إليه هذا الفن في العصر المملوكي حيث حرص الفنان المملوكي على إدخال عنصر جديد في زخرفة الجدران والأرضيات وهو استخدام الفسيفساء الرخامية كتلك التي استخدمت بقبة قصر السلطان قلاوون في مصر، كما ظهر استخدام البلاطات الخزفية المزخرفة في تكسيه قمم المآذن والقباب والجدران. ولم يكن العثمانيين بمنأى عن احترام هذا الفن منذ قيام الدولة عام (1517م) ولوحظ ذلك من خلال الشواهد الفسيفسائية بمسجد المرادية في مدينة بروسة. وقد مر تطور الفسيفساء بمراحل عديدة حتى بلغ قمته في العصر الإسلامي التي تعطينا خلفية واضحة عن تجليات الحضارة الإسلامية في عصورها المزدهرة, ذلك الفن الذي اهتم بتفاصيل الأشياء والخوض في تلافيف أعماقها، نافذاً من خلال المواد الجامدة إلى معنى الحياة, إنه فن التلاحم والتشابك الذي عبر في دلالاته عن أحوال أمة ذات حضارة واستطاع الفنان المسلم بأدواته أن يترجم لنا فلسفة هذه الحضارة في ألوان متعددة من الفنون ، فتشكلت الفسيفساء من قطع مكعبة الشكل لا يتعدى حجمها سنتيمترات من الرخام أو الزجاج أو القرميد أو البلور أو الصدف, صاغتها أيدي الصناع المهرة على الجدار والقباب والأرضيات وغيرها فجمل المساجد والقصور. وقد أبدع الفنان المسلم فطور هذا الفن وزين به المساجد من خلال المآذن و القباب وفي القصور و النوافير و الأحواض المائية وكان للرسوم و النقوش الجدارية المصنوعة من الفسيفساء نصيب كبير في هذا الازدهار، فتنوعت طرقة واختلفت اشكاله الفنية ، ومواضيعه الزخرفية، و ذلك من خلال توظيفها وملاءمتها في العمائر المختلفة كالقصور و المساجد و الاضرحة و المدارس و الحمامات.

الفسيفساء في العمارة الإسلامية :

ان أجمل ما وصل الينا من الفسيفساء في العصر الاسلامي هي فسيفساء قبة الصخرة في القدس الشريف والذي شيّد في عهد عبد الملك بن مروان عام 72هـ (691م)، الذي مازال

محتفظاً بفسيفسائه الداخلية شكل (5 أ–ب) إلا أن فسيفساءه الخارجية زالت وحل محلها بلاطات خزفية شكل (6 أ–ب) ، تغطي اجنحة وبواطن عقود الاروقة ورقبة القبة انواع متعددة من الرسوم النباتية المنفذة بالفسيفساء وتتألف من مكعبات صغيرة مختلفة الحجم من الزجاج الملون بالاخضر والازرق والبنفسجي والابيض والأسود وغير الملون والشفاف وغير الشفاف ومن مكعبات من الحجر الابيض والوردي ومن الصدف وقوام الزخارف اشجار النخيل وانواع الفاكهة مثل العنب والرومان وزخارف نباتية للاكانتس وكذلك اشكال اواني تخرج منها نباتات متعرجة ومتشابكة وظهر بين تلك العناصر رسوم الحلي والاهلة والنجوم وقد عرف الهلال في بلاد الفرس في العصر الساساني ، وقد استمدت العناصر الفنية من الفنون القديمة والساسانية والبيزنطية حيث كانت الشام ملتقي للحضارتين في تألف يعتمد علي مفهوم الجمال بمنظور اسلامي لا يتناقض مع العقيدة ، مما جعلها تعد علي حد قول عالم الآثار الأمريكي ايتنجهاوزن " انجاز فني كبير ذو اثر بالغ الأهمية فقد تجاوزت النقوش الطابع الزخرفي وصارت مهمتها اشباع الرغبات الدينية والجمالية ... ولعل الغرض الأساسي منها لم يكن مجرد ابهار المشاهد بقدر ما كان الاعلان عن انتصار اخر الاديان السماوية والتأكيد علي سياته عالمياً "

شكل (5 أ–ب)

اجزاء تفصيلية للفسيفساء داخل مسجد قبة الصخرة تظهر استخدام الزجاج والصدف

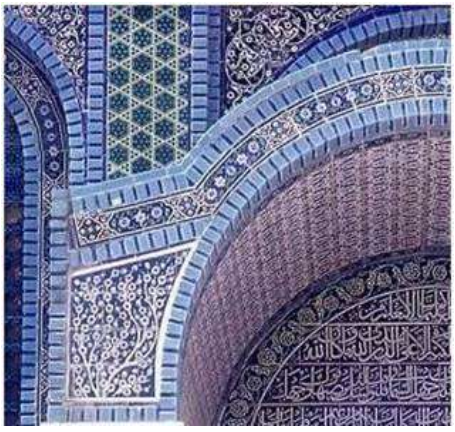

شكل (6 أ–ب)

يوضح الحائط الخارجي لمسجد قبة الصخرة بالكسوات الخزفية

وتعتبر فسيفساء الجامع الأموي في دمشق من أقدم الأمثلة وأجملها على الاهتمام بهذا الفن منذ بدايات الحضارة الإسلامية. وترجع فسيفساء الجامع الأموي الكبير إلى عهد الوليد بن عبد الملك. وقد جرى ترميم لوحات الفسيفساء في الجامع مرات عديدة، فنجت من الكوارث التي تعرض لها الجامع من زلازل وحرائق. وخاصة الفسيفساء الموجودة على قبة "النسر" وقاعة الشرف و"قبة الخزنة". وما ساعد على بقاء هذه الفسيفساء أنها كانت مخفية تحت طبقة من الكلس قبل أن يكتشفها أحد العلماء الفرنسيين في القرن التاسع عشر. شكل (8) واجهة المسجد الأموي

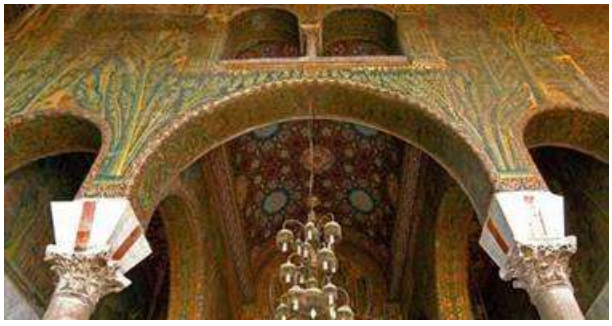

شكل (7) صورة مقربة لواجهة المسجد الأموي

هذا إضافة إلى أنها مصنوعة من زجاج مقاوم للمطر والغبار والحرارة وفسيفساء الجامع الأموي الكبير تمثل مجموعات من العناصر المعمارية من اعمدة وابراج وجمالونات ونوافذ بالقرب من مجري مائي والأشجار والجسور وربما تمثل تلك المناظر مدينة دمشق وقد تأثرت الفسيفساء في المسجد الأموي بالتقاليد البيزنطية من حيث رسم المناظر الطبيعية كخلفية للعناصر الأدمية .
أشكال(8،7،9).

شكل (9) الخزانة بساحة المسجد الأموي

وبالإضافة الى ذلك فهناك بعض النماذج الاخرى التي تعود الى العصر الاموي و هي فسيفساء القصر الذي ينسب الى الخليفة هشام بن عبد الملك يقع القصر شمال اريحا الأردن ، حيث كشفت اعمال التنقيب عن عدد كبير من زخارف الفسيفساء التي ترجع إلي الأسلوب الروماني والبيزنطي وكذلك بعض منها كان تقليد لرسوم المنسوجات الفارسية ومن تلك الأعمال قطعة في قاعة الجلوس بالحمام الكبير يوضح مدي التأثر بالفنون الساسانية الشرقية في رسم الأسد شكل (10) في حالة الأفتراس وتعتبر اللوحة مثال للمزج بين الحضارات الفنية المختلفة والتي تميز بها الفن الأموي .

شكل (10)

لوحة قصر هشام بن عبد الملك خربت المفجر

لقد وصل فن الفسيفساء في العصر العباسي اوج ازدهاره مقترنا بالافراط الذي حصل في المباني و العمائر في هذه الفترة الذهبية من الحكم العربي، فاستخدموها في تزيين و تجميل العمائر الدينية و المدنية مثل الجوامع والقصور و الحمامات، فعلى الصعيد التاريخي تشير الروايات الى ان صناعا من بغداد ساهموا في تزيين جدران الكعبة وردهاتها. ويذكر المقدسي ان الخليفة المهدي قام باصلاح الكعبة فغطيت جدرانها الفسيفساء بواسطة فنانين من العراق و الشام، و من اهم ما وصلنا من نماذج الفسيفساء في العصر العباسي ما عثر عليه المنقبون في حفريات مدينة سامراء و ذلك في اطلال قصور الخلافة و المسجد الجامع و بعض البيوت الكبيرة، التي كانت تزين جدرانها و ارضياتها، و لكن الذي يؤسف له ان هذه النماذج التي عثر عليها ليست في حالة جيدة، عدا قطعة واحدة منها كانت على درجة كبيرة من الحفظ، وجدت في حمام القصر الكبير. و ارضيه هذه القطعة ذهبية اللون و تقوم فوقها رسوم لفروع نباتية بلون اخضر مختلف الدرجات فضلا عن رسوم الازهار و اوراق الشجر المختلفة،

شاع في العصر العباسي اسلوب اخر جديد في صناعة الفسيفساء، و هو الفسيفساء الخزفية التي تتكون من عدد من القطع الصغيرة المختلفة الشكل و الحجم من الخزف المطلي بالالوان التي تجمع مع بعضها بملاط يصب عليها من الخلف ليملأ التجاويف فتزين به القباب والمآذن و المحاريب وجدران المساجد و واجهاتها وانتشر استعمال هذا النوع في عدد كبير من المدن الخاضعة للدولة العباسية وقد وصلتنا نماذج، منها محراب معروض في المتحف البريطاني في لندن تزينه الفسيفساء الخزفية الملونة.

أن صناعة الفسيفساء قد انتقلت الى بلاد الاندلس خلال الحكم العربي لها بعد اقامة الخلافة الاموية الثانية هناك و وصول اعداد كبيرة من العمال العرب اليها فاستخدموا الفسيفساء في تزيين عدد من الابنية التي انشأها الحكام الامويين، فزينوا بها جدران القصور والمساجد والحمامات ولازالت معالم الكثير منها باقية الى الوقت الحاضر، في المدن الاندلسية كقرطبة واشبيلية و الحمراء ، كما تظهر قبة الجامع الكبير بقرطبة من الداخل مغطاه بالفسيفساء المذهبة تمثل العناصر النباتية والكتابات والشرائط النباتية التي تحدد الأقواس الحاملة للقبة

شكل (11) قبة الجامع الكبير بقرطبة

ووصلت صناعة الفسيفساء الى بلاد المغرب، عن طريق الاندلس و خاصة بعد سقوط الدولة العربية فيها وانسحاب اعداد كبيرة من الجاليات العربية الى المغرب وكان بينهم عدد من الحرفيين لاسيما وان المغرب شهدت في ذلك الوقت ازدهارا كبيرا، و تعلم المغاربة منهم استخدام فن الفسيفساء واستحسنوه كثيرا في ابنيتهم حتى اصبح يشكل اهمية كبيرة في ابنيتهم الخاصة والعامة. وعملوا علي تطويره فظهرت الوحدات الهندسية المكونة للأشكال الهندسية مثل الأطباق النجمية في تراص متعدد اللألوان عرف بالزليج وقد حافظوا على هذه الصناعة عبر الاجيال الطولية وإلى الوقت الحاضر حتى اصبحت الفسيفساء طابعا يميز العمارة المغربية الحديثة، وذلك من خلال مبالغتهم في استخدامها في تزيين المساجد و القصور و الابنية وًالدوائر الحكومية والدور السكنية.

وكان لإنتشار الإسلام بالعديد من البلدان ودخول العديد من الشعوب تحت لواءه السبب الرئيسي لكي تظهر تجليات الفنان المسلم حين شيد المسجد الأزرق أو مزار شريف في وسط مدينة مزار شريف عاصمة اقليم بلخ بأفغانستان والذي بني عام 1512م ويعتبر مزيج من العديد من الطرز الفنية فالكتابات بخط عربي محاط بزخارف نباتية وهندسية عربية في حين تتخذ القباب اشكال قباب سمرقند اما الفسيفساء التي تكسو الجدار الخارجي تجمع بين الطراز الهندي والالوان الصينية شكل (12،13)

شكل (12) مئذنة المسجد الازرق

شكل (13) واجهة المسجد الازرق بمزار شريف

ازدهرت صناعة الفسيفساء الخزفية خلال عصر ايلخانات المغول في ايران ، وفيها تؤلف الزخرفة من اجزاء صغيرة من الخزف مختلفة الاشكال بعد قطعها من لوحات من الخزف المدهون وتلصق الأجزاء بعضها ببعض بواسطة الملاط الذي يصب فيها من الخلف فيملأ جميع التجاويف فيها· ورغم الاعتراف بأن السلاجقة الاتراك سبقوا الى استخدام هذا الأسلوب في زخرفة بعض مبانيهم في مدينة قونية بالأناضول، فإن الصناع الإيرانيين في القرن الثامن الهجري "14م" بارزوا السلاجقة في هذا الميدان وافلحوا في ان يؤلفوا منها ادق الموضوعات النباتية والهندسية في ألوان براقة متناغمة· وازدهرت صناعة الفسيسفاء الخزفية ايضا بمدينة اصفهان ومن منتجاتها محراب خزفي كان في مدرسة بها مؤرخة بعام 755هـ "1354م" ويبدو ان تيمورلنك بعد غزوه لإيران استقدم إلى عاصمته ضمن من حملهم من الفنانين الإيرانيين عددا من صناع الفسيسفاء الخزفية، عملوا في سمرقند وغيرها من مدن بلاد ما وراء النهر مثل بخارى، حيث ظهرت كسوات خزفية بديعة في منشآت التيموريين دون ان تكون لهذه البلاد سابقة في انتاج هذا النوع من الكسوات الخزفية، ومن اجمل النماذج مسجد جوهرشاد, تم بناء هذا المسجد في العام 1418م بأمر من الملكة جوهرشاد زوجة شاهرخ, وهو واحد من ملوك السلالة التيمورية شكل (14) هو مسجدٌ مستقل ولم يكن متصلاً بأي بناء, يقع هذا المسجد في مدينة مشهد بني مدخله وفق النمط السمرقندي قوسٌ داخل قوس, بشكل سلسلة متوالية ذات حواف متعددة ، كما تم استخدام الآجر وقطع الفسيفساء والموزاييك من على كامل الواجهة الخارجية للمسجد

شكل (14) واجهة مسجد جوهرشاه بمدينة مشهد بإيران

ومما سبق نخلص إلي مجموعة من النتائج وتشمل :

- الفن الإسلامي حلقة من حلقات الفن المتصل منذ بدأ الإنسان الأول تجميل ادواته وعي ما سبق من حضارات واستوعب مفاهيمها وصاغ مفرداتها في ضوء مفهومه الخاص المستمد من سماحة العقيدة .
- اعتمد الفنان في العصر الإسلامي علي مفردات البيئة المحيطة به مستمداً من موروثاتها الفنية والثقافية صياغات تتناغم معها .
- استخدم الفنان المسلم الفسيفساء بشكل زخرفي للجدران بتقنيات مستمدة مما سبقها من فنون بعيدا عن التجسيم فابتعد الفنان المسلم عن اظهار الظل والنور في الرسوم .
- لم تقتصر الفسيفساء في الفن الإسلامي علي خامة معينة والوان محددة ولكن تعددت الخامات المستخدمة في الجدارية الواحدة في توليف بين الخامات كما في فسيفساء قبة الصخرة .
- زين الفنان المسلم بعض المباني بالفسيفساء الخزفية من قطع صغيرة والتي عمل علي تطورها الي بلاطات القاشاني الصغيرة ثم تطور إلي استخدام قطع الفسيفساء في مساحات هندسية مكونة لرسوم هندسية ونباتية تتسم بالتنامي والإستمرارية كما في مسجد مزار شريف .

المراجع العلمية :

- احمد عبد الرازق احمد – الفنون الإسلامية حتي نهاية العصر الفاطمي – كلية الأداب – جامعة عين شمس – ط 2 – 2006
- رووف محمد علي الانصاري – وحدة الفن الإسلامي –
- عبير قاسم – فن الفسيفساء الروماني المناظر الطبيعية –ملتقي الفكر – الإسكندرية – 1998

الرسائل العلمية :

- السيد محمد السيد – الفسيفساء الخزفية كمجال للتعبير الفني في التربية الفنية –دراسات وبحوث –مجلد8 –عدد4 –جامعة حلوان – 1985
- سمية صالح عبد العزيز – الأساليب الإبتكارية للفسيفساء الخزفية كمدخل لتدريس الخزف – رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية التربية الفنية – جامعة حلوان – 1994
- سهيلة احمد شاهين – القيم الجمالية للزخرفة الإسلامية بالمسجد الأقصي كمدخل لاستحداث تصاميم زخرفية معاصرة – جامعة القدس المفتوحة – رفح
- نجية عبد الرازق عمر – الفسيفساء الخزفية مدخل للإثراء الجداريات في مجال التربية الفنية – المؤتمر العلمي التاسع – كلية التربية الفنية – جامعة حلوان – 2006